

انتهى سباق فتح الله غولن للوصول إلى القمة

كتبه فورين بوليسي | 7 أغسطس ,2016



ترجمة وتحرير نون بوست

قال الرئيس رجب طيب أردوغان في خطاب له بعد أيام من محاولة الانقلاب في تركيا "هذا الفيروس، انتشر□ كالسرطان"، في إشارة إلى أتباع فتح الله غولن، رجل الـدين المقيم في ولايـة بنسلفانيا، متهمًا إياه بتدبير محاولة الإطاحة به.

منحت حالة الطوارئ التي أعلنتها تركيا السلطة للحكومة لتطهير جميع مؤسسات الدولة من الغولينيين، فقد تم القبض، إلى حد الآن، على أكثر من 10 آلاف عسكري، من بينهم 151 جنرالاً وأدميرالاً، فضلاً عن 3 آلاف شرطى، هم الآن على ذمة التحقيق.

لكن يبدو أن "العلاج" ركز على التعليم، حيث تم إعفاء 67 ألف شخص من مهامهم خلال الـ 10 أيام الأولى من حالة الطوارئ، على الأقل 42700 منهم ينتمون إلى وزارة التربية، وبموجب مرسوم، تم غلق ومصادرة 1043 مدرسة خاصة، علاوة على إغلاق 15 جامعة و109 مبيت للطلبة، كما طُلب من □1577□عميدًا تقديم استقالتهم، ومن المفترض أن يسمح للكثيرين بالعودة إلى مهامهم بعد تبرئتهم،

وفي الوقت نفسه، أعلن عصمت يلماز □ وزير التعليم، أن الحكومة ستعمل على توظيف أكثر من 20 ألف مدرس جديد هذا العام، لتعويض العجز.



كـان التعليــم حــاضرًا بشكــل واضــح في رد الحكومــة علــى محاولــة الانقلاب الفاشلــة، نظــرًا لتركيز الغولينيين على بناء شبكة من الدارس في تركيا وحول العالم، لعقود طويلة، حيث كانت حاسمة في الجهود البذول لتوسيع نفوذهم.

من المكن أن الطبقة السياسية في تركيا لم تنشئ حركة غولن، لكنها سمحت لها بالتغلغل في مفاصل الدولة دون عوائق، نسبيًا، والآن تقرر دحض كل ذلك، وتم البدء بالجزء الذي يغذي البقية، التعليم.

على غرار العديد من الحركات الدينية في تركيا، تمثل الشبكة الغولينية ردة فعل على بناء تركيا الحديثة، التي أصبحت جمهورية علمانية في عام 1923، وقد استمدت أفكارها من العلامة سعيد النورسي، العروف بذاكرته الذهلة وعزيمته، الذي كون حركة متورطة في العصيان المدني ضد الحكومة العلمانية.

وبعد موت النورسي، تشكلت العديد من الطوائف الدينية التي تستند إلى تعاليمه، لكن واحدة فقط خرجت عن أصولها المحافظة، حيث كانت تحت قيادة فتح الله غولن، الذي كان عمره 25 سنة، عندما ذهب لأول مرة إلى مدينة □ إزمير الساحلية وفرض نفسه إمامًا، وقد عرف بأسلوبه العاطفي، وصرّح شيخ في الثمانينات من العمر، كان يحضر بعض خطبه في الستينات، لأحد المؤلفين، □"كان □ دائمًا □يبكي خلال خطبه".

لكن، لغولن كاريزما فريدة من نوعها، وسرعان ما أصبحت خطبه شعبية في جميع أنحاء المنطقة، فقد تم تسجيلها صوتيًا، وفي وقت لاحق، في شكل فيديو، في تلك الفترة كان غولن يتبع نظام الدولة ولم يكن ضد النظام الكمالي علنًا، لكن، باعتباره متبنيًا للمبادئ النورسية، لم يقبل بذلك.

وفي أواخر الستينات، تميز □أتباعه عن الجمعيات الدينية الأخرى من خلال التركيز على التعليم الثانوي والعالي، ليصل النظام التعليمي الغوليني إلى جميع جوانب الحياة. حيث يعين لكل طفل "أخ أكبر"، ليرشده في دراسته، وليعمل على تشكيل شخصيته، وعندما أُدرجت الفتيات، تم تعيين "أبلة" الكل واحدة منهن، أو "شقيقة كبرى"، يكونون عادة أكبر من التلاميذ، على غرار قيام طالب جامعي بإرشاد طالب بالمرحلة الثانوية، وقد منح ذلك، أعضاء الحركة شعورًا قويًا بالانتماء طوال حياتهم، وأنشأ هرمية واضحة ووحدة سياسية وإيديولوجية.

من الواضح □أن الغولينيين كانوا إسلاميين سياسيين، ولكن سريتهم هي التي جعلتهم يبرزون، حيث عارض معظم الإسلاميين في تركيا العلمانية علنًا، من خلال تأطير القاعدة الشعبية والمشاركة في النظام الديمقراطي، في حين سعت حركة غولن لتخريب العلمانية، حيث كان يرشد أتباعه في خطبه، ويقول لهم "تحركوا في شرايين النظام، دون أن يلاحظ أحد وجودكم".

واستمر غولن في ذلك، حتى يتشبع أتباعه بتأثيره، بدرجة كبيرة، وختم تلك الخطبة بالقول "يجب الانتظار إلى حين امتلاك سلطة الدولة، حيث تكون كل سلطات المؤسسات الدستورية في تركيا، إلى جانبكم".

في أدبيات الغولينيين، يعتبر الأشخاص الذين سيأخذون بزمام الأمور في الدولة عندما يحين الوقت



الناسب، "الجيل الذهبي"، هؤلاء لديهم العزيمة على "عبور بحر من القذارة"، بمعنى الخطيئة العلمانية، في حين يبقون نقيين في نواياهم، وبالتالي يحدثون نوعًا من الثالية.

ولكن، الحركة بحاجة إلى قاعدة أوسع في المجتمع لإعطائها نفسًا أطول، وكان التعليم المؤسسي الوسيلة للوصول إلى ذلك، وبذلك، ركزت حركة غولن، في السبعينات والثمانينات، على تدريب معلمين على مستوى عالمي ليتمكنوا من جلب الأطفال إلى قضيتهم.

قال معلم كان يعمل في مدرسة غولينية: "حصلت على درجة عالية في امتحان القبول في الجامعات للوصول إلى كلية الطب، ولكن الجماعة – تسمية للحركة الغولينية – طلبوا مني أن أصبح مدرسًا، وهذا ما فعلته"، كان هؤلاء الدرسون على استعداد لتقديم تضحيات مادية كبيرة على مدى فترات طويلة من الزمن، بدافع الكانة التي وصلوا إليها في الحركة ومن أجل تحقيق هدف ديني.

ومع ارتفاع عدد الدرسين الغولينيين، امتدوا إلى القطاع الخاص، وقامت شبكة واسعة من مساكن الطلبة الغولينية ومخيمات الطلاب بالإعداد لامتحانات الجامعة، وإلى جانب تدعيم إحساسهم بالانتماء إلى المجتمع، وأهمها، "الدارس الإلزامية" التي يقصدها الطلاب الأتراك من أجل التحضير لامتحانات الجامعة.

وعـادة مـا يكـون □الطلاب تحـت ضغـط كـبير، خلال السـنة الدراسـية الـتي يحـضرون فيهـا لتلـك الامتحانات، لأنها تحدد نوعية شهاداتهم الجامعية وحياتهم الهنية.

وعلى الرغم من أن الناهج الدراسية في الدارس الإلزامية الغولينية كانت مشابهة لغيرها، كانت تُعد الطالب ليصح "أبي أو أبلة"، حيث تتم دعوتهم لجلسات الدروس الخصوصية، وليصلوا معًا، وليطلعوا على الكتب الغولينية أيضًا.

وبمرور الـوقت، بـدأ نمـط معين في الظهـور، حيـث عُـرف الطلاب الغولينيون بـالتقوى والعمـل بجـد والانضباط والبراعة في الرياضيات والعلوم الطبيعية، وقد جعلهم ذلك مرشحين ممتازين للعمل في الـدوائر الحكومية الفنيـة مثـل وزارة الخزانـة والبنـك الركـزي، وسـمحت لهـم بالارتقـاء بسرعـة في مؤسسات أخرى مثل الشرطة.

وفي عام 1992، كان للحركة مدرسون من ذوي الخبرة، ما يكفي لتأسيس أولى مدارسه في الخارج، في جمهوريات آسيا الوسطى الستقلة حديثًا، في تلك الرحلة، كانت الحركة تمول أنشطتها، إلى حد كبير، من خلال ما يسمى "اجتماعات المساعدات"، حيث يأتي رجال الأعمال المتعاطفون مع الخطب الدينية الخاصة، الذين يُطلب منهم المساهمة بمبالغ كبيرة للحركة، ومع توسع الحركة في الخارج، يقوم أتباعها، في كل مدينة تركية، بتحمل مسؤولية الأنشطة الغولينية في بلد أجنبي آخر، ومع مرور الوقت، انتشرت هذه الدارس في جميع أنحاء العالم وتفتخر الحركة اليوم بأكثر من ألفي مدرسة في 160 دولة مختلفة.

اشتهرت هذه المدارس بتركيزها على الرياضيات والعلوم الطبيعية، حيث التعليم ليس بالضرورة إسلاميًا، ولكن نوعية التعليم عالية جدًا، لدرجة أنها أصبحت أماكن، يرسل إليها النخبة أطفالهم



ليتعلّموا الانضباط، كما يتم إعطاء الفقراء والأطفال النجباء النح الدراسية، وبدأ الساسة الأتراك بدعم هذه الدارس كمنارات تنامى "القوة الناعمة" لتركيا في النطقة.

على الرغم من أن حركة غولن كانت على علاقة جيدة مع مختلف الحكومات المتعاقبة، أصبح "حزب العدالة والتنمية" الإسلامي المعتدل الذي صعد إلى السلطة في عام 2002، حليفًا حقيقيًا، ولأكثر من عقد من الزمان، ازدهرت المؤسسات التعليمية الغولينية تحت حكم حزب العدالة والتنمية، كما زاد انتشار المجموعة في الوسط البيروقراطي، إلى مستويات غير مسبوقة.

وكانت الغولينية قوية خاصة في الشرطة والقضاء، حيث استخدمت مؤسسات الدولة هذه، في التشهير وسجن أولئك الذين عارضوا شبكتهم، تماشت بعض تلك الأساليب مع سياسات حزب العدالة والتنمية، مثل قضايا سليدج هامر وايرجينيكون سيئة السمعة، التي أدانت ضباط رفيعي المستوى في الجيش بالتخطيط لانقلاب، باستخدام أدلة وهمية، كما تم سجن شخصيات بارزة أخرى مثل الصحفيين الاستقصائيين نديم سينر وأحمد سيك وقائد الشرطة السابق حنفي اوجي، على أدلة كاذبة لمجرد الكتابة سلبًا عن الغولينية.

ومع حلول سنة 2010، بدأ تأثير الغولينية بإقلاق حكومة حزب العدالة والتنمية، حيث أصبحت وكأنها دائرة غير مرئية تحيط بالحكومة في الفاصل الرئيسية للدولة.

وعندما تحرك أردوغان أخيرًا ضد الغولينية، حاول توجيه ضربة في القتل، من خلال استهداف تأثيرها على المؤسسات التعليمية، وفي عام 2013، اقترح إغلاق جميع المدارس الإلزامية خاصة في البلاد، وبالتالي قطع المصدر الرئيسي لرأس المال البشري في الغولينية"، فدون البنية التحتية لضم الأتباع، تصبح حركة غولن مجرد طائفة دينية أخرى في تركيا، لكن لم تقبل الغولينية ذلك، فقد الأطلقت أول هجوم على أردوغان في ديسمبر/كانون الأول من ذلك العام، وباستعانتها بشبكتها في الشرطة وغيرها من فروع الحكومة، نشرت تسجيلات صوتية تورط كبار الشخصيات الحكومية في الفساد والرشوة وغسل الأموال، والتحريض على الحرب في سوريا.

لذلك أوضح أردوغان أن العركة قد بدأت، ولن يسمح للغولينيين بالتحكم في السلطة من وراء الستار، وأضاف: "سوف نكشف هذا الهيكل للعلن"، وقال: "هي دولة داخل الدولة".

ولكن حتى في خضم هذه العركة الوشيكة، كانت هناك محاولة أخيرة لرأب الصدع بين حكومة حزب العدالة والتنمية وغولن. حيث التقى فهمي كورو، الصحفي القرب من كلا الطرفين، برئيس الوزراء رجب طيب أردوغان، آنذاك، والرئيس عبد الله غول وأُرسل إلى ولاية بنسلفانيا، أين يعيش غولن في النفى من أجل محادثات السلام.

كتب كورو في كتابه "تال أول بوك" أن غولن أعطاه رسالة إلى أنقرة يطلب فيها من الحكومة تخفيف قبضتها على المدارس، كتب غولن في رسالته: "أقول لرئيس وزرائنا أننا لا نرغب في إغلاق المؤسسات (المدارس الإلزامية) المفيدة للشعب والتي نرغب في استمرارها في تأدية مهمتها الحالية".

لكن المنافسة بين الطرفين ازدادت، وسرعان ما تحولت إلى حرب مفتوحة، حيث صنفت الحكومة،



في السنوات التالية، حركة غولن كمنظمة إرهابية وبدأت في الضغط على الشركات الرتبطة بغولن، كوسائل الإعلام، وغيرها من المؤسسات، كما أغلقت المدارس الإلزامية، وبدأت أيضًا في دحر وجود شبكة غولن الموجودة منذ 25 عامًا عبر جهازها كله، مع استثناء ملحوظ للجيش، بسبب الحساسيات العلمانية من المؤسسة، وعلى الرغم من ذلك، قيل إن الغولينية تغلغلت بشكل سرى.

عرّض العداء النظام التعليمي □الغوليني لزاعم فساد، حيث حقق السؤولون الأتراك في عام 2015، مع الغولينيين حول تهم الغش في امتحانات الخدمة المدنية، مدعين أن البيروقراطيين الذين حصلوا على أسئلة الامتحان سربوها إلى الذراع التعليمي للشبكة قبل مواعيد الاختبار، ونتج عن ذلك، حملات اعتقال في صفوف الأشخاص الذين يزعم أنهم ارتكبوا هذه الجريمة، مما أدى إلى أكثر من 3200 محاكمة جارية، إلى جانب اعتبار نتائج امتحان الخدمة المدنية □باطلة.

أكد مسؤولون حكوميون أنهم كانوا يجمعون أسماء غولينيين في مختلف القطاعات، بما في ذلك التعليم، قبل وقت طويل من محاولة انقلاب، ولكن حالة الطوارئ منحتهم السلطة لتطهير ما تبقى من الغولنيين من مؤسسات الدولة.

وفي الـوقت الحـاضر، لا تعتقـد □الحكومـة أن كل الغولينيين مؤيـدون للانقلاب ولا تتهمهـم رسـميًا بالتورط في الانقلاب، ولكن ترى استمرار وجودهم في القطاع العام خطر على الأمن القومي، ونظرا للإجماع العام في تركيا أن الغولينيين كانوا في الواقع وراء الانقلاب، تلقت عملية التطهير دعمًا ضمنيًا من المعارضـة، وبغض النظر عمـا سـيحدث بعـد ذلك، سـيفقد عـشرات الآلاف، إن لم يكـن مئـات الآلاف وظائفهم.

السؤال الهام في هذه المرحلة هو: إلى أي مدى سوف تستغل الحكومة حالة الطوارئ للبدء في تطهير الغولينيين؟ على سبيل المثال، 16 عضوًا من نقابة المعلمين اليساريين الذين كانوا تحت قيد التحقيق منذ يناير/ كانون الثاني، غض عنهم البصر، وإذا تجاوزت الحكومة تلك الخطوط، سيكون هناك بالتأكيد ضجة عارمة حول إساءة استخدام السلطة.

هناك احتمال كبير أن الحكومة ستذهب في الواقع بعيدًا جدًا، فقد قام أتباع أردوغان بتشويه سمعة الدولة السابقة في أعمدة الصحف، بما في ذلك رئيس الوزراء السابق أحمد داوود أوغلو ونائب رئيس الوزراء السابق علي باباجان، والمثلة عن حزب الحركة الوطنية ميرال أكسنر، التي وصفت نفسها بأنها منافسة حقيقية للحزب الحاكم، وعلى الرغم من أنها كانت ضد محاولة الانقلاب في الدقائق الأولى منه، نجحت وسائل الإعلام الوالية للحكومة إلى حد بعيد في جعلها في صالح إسقاط أردوغان.

في حال فشلت الحكومة في احتواء هذا الاتجاه وسمحت بعمليات تطهير ضد غولن لاكتساح المعارضين السياسيين الشرعيين للحزب الحاكم، يمكن أن تترتب عنها اضطرابات واسعة.

من المؤكد أن الحكومة ستبذل قصارى جهدها لمحو أي تأثير غوليني داخل أروقة السلطة التركية، حيث سيتم حل المؤسسات التعليمية الغولينية التبقية، ومعهم، مستقبل الحركة في بلدها الأم.



منذ فترة طويلة، لم تكن السياسة التعليمية من أولويات السياسيين الأتراك، إلا أنهم سوف يهتمون بها أكثر لضمان عدم استفادة أي جماعة سياسية أو دينية أخرى من هذا العجز.

المدر: فورين بوليسي

رابط القال : https://www.noonpost.com/13282 : رابط القال